المحور السادس
الحرب النفسية
في ضوء القرآن الكريم



الحرب النفسية
في ضوء القرآن الكريم

د.فهمي النجار





﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد :

فإن الأمة الإسلامية تجتاز مرحلة خطيرة في هذه الفترة التاريخية من حياتها، لم تشهدها أمة من الأمم، فقد تداعى عليها الأعداء من كل جانب فتناهبوا أرضها وشعبها ومقدساتها، وفرقوا شملها، وداسوا كرامتها.. وسلطوا عليها شذاذ الآفاق اليهود، بعد أن صنعوا منهم دولة، وزودوهم بأفتك الأسلحة.. دون أن يجرأ أحد من هذه الأمة على رد العدوان، واسترداد المقدسات..

وما هو أشد وأدهى، تعرض الأمة الإسلامية إلى حرب نفسية رهيبة من قبل أعدائها، العريقين في عداوتهم، الثالوث اليهود والصليبي والملحد، ويتبعهم المهزومون نفسيًا من العلمانيين والمتغربين من بني جلدتنا.. وهدفهم تحطيم عقيدة هذه الأمة، وقطع العرى التي تربطها بدينها وقيمها وأخلاقها، ومن ثم تمزيق شملها ووحدتها، وإضعافها، وضمان تبعيتها للدول المهيمنة على العالم اليوم سياسيًا واقتصاديًا وفكريًا..

وفي هذا البحث حاولت إعطاء صورة موجزة عن هذه الحرب النفسية عند نشوء الأمة الإسلامية في مكة المكرمة، وفي المدينة المنورة، وما لاقاه رسول الله ﷺ والمسلمون الأوائل من قبل أعداء الإسلام من المشركين والمنافقين واليهود من دعاية كذبة وشائعة وإرهاب ..

لأبين أن الحرب النفسية مازالت مستمرة على الإسلام والمسلمين.. وأن الإسلام أيضًا شهد حربًا نفسية على أعدائه.. وله مبادئه فيها، معتمدًا في هذا البحث على آيات القرآن الكريم والسيرة المطهرة..

وكل ما أرجوه أن يزيد هذا البحث في وعي أبناء هذه الأمة ويزيد في اهتمامهم بقضاياهم المصيرية في الوقت الحاضر..

والحمد لله رب العالمين ...

د.فهمي النجار



التمهيد

- ما هي الحرب النفسية ؟
- وما تعريفها ؟
- وما هي أسلحتها ؟
- وما هو تاريخها ؟ هل هي حرب حديثة التطبيق، أم قديمة تاريخيًا ؟
- وهل تحدث القرآن الكريم عن هذه الحرب ؟
- وما هي مبادئها في الإسلام ؟
- وكيف نقاومها إن صدرت من أعداء الإسلام ؟

هذه هي النقاط الرئيسة في هذا البحث ..

وقبل البدء في هذا البحث أود أن أبين، وكما هو معلوم لكل واع لواقع الحروب، أن الحروب نوعان:

١- حروب تقليدية تستخدم السلاح بكافة أنواعه.

٢- وحروب لا تستخدم السلاح مثل الحروب السياسية والاقتصادية والنفسية، وقد عبَّر رسول الله ﷺ عن هذه الحروب بقوله: "**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**"[١].

فالجهاد يمكن أن يكون بالمال وبالنفس وباللسان، فالحرب بالمال هو ما ينفق على المجاهدين وإعدادهم وتسليحهم، ويمكن أن يكون بالحصار الاقتصادي – كما يعرف اليوم – وتجويع الشعوب المظلومة من قبل الدول القوية المهيمنة..

أما الحرب باللسان، فيعبر عنه قديمًا بالهجاء الشعري بين القبائل، والفخر بينها، لإثارة الحماسة بين المقاتلين..

أما الحرب اللسانية الحديثة فهي أخطر الحروب، حيث وسائل الإعلام المتعددة؛ المسموعة والمقروءة والمرئية، التي أصبحت وسائل خطيرة، وأسلحة من أسلحة الحرب النفسية.. كما سنرى في هذا البحث.

– والحرب النفسية الحديثة، إن كانت قد احتفظت بأهداف الحرب النفسية القديمة ذاتها، إلا أنها أصبحت تعتمد على الدراسات النفسية والاجتماعية لمعرفة أقرب السبل لإرهاب العدو، وقتل إرادة القتال لديه، وتحطيم معنوياته، ومن ثم الحصول على استسلامه في نهاية المطاف.

– وقد وردت عبارة الحرب النفسية لأول مرة في التاريخ الحديث في كتاب لمؤلف ألماني أصدره عام ١٩٣٥ م، وكان رئيسًا للمعمل النفسي بوزارة الدفاع الألمانية، وضع فيه أسس الحرب النفسية[١].

---

[١] حديث صحيح رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان عن أنس ﷺ. انظر صحيح الجامع الصغير للألباني: ٣/٤.



– ثم شاعت عبارة الحرب النفسية خلال الحرب العالمية الثانية:١٩٣٩ م – ١٩٤٤م، وكانت تعبر عن الدعاية المبنية على الاستفادة من دروس علم النفس(٢).

– ومن بين أول التعريفات للحرب النفسية في الجيش الأمريكي: هي استخدام أي وسيلة بقصد التأثير على الروح المعنوية، وعلى سلوك أي جماعة لغرض عسكري معين(٣).

– وقد كانت الحرب النفسية مرتبطة بالقتال المسلح، ثم أصبحت إحدى خصائص العالم المعاصر بعد عام ١٩٤٨م بالرغم من عدم وجود قتال مسلح وأخذت أسماء متعددة مثل: الحرب الباردة، أو الحرب السياسية، أو حرب الدعاية ...

– والحرب النفسية تقوم على الدعاية، ولهذا كان تعريف الحرب النفسية في تصور الكثير يماثل تعريف الدعاية، ولهذا كانت الدعاية إحدى وسائل الحرب النفسية. لأن مضمون الدعاية هو مضمون الحرب النفسية من حيث اعتماده على الخداع والتمويه والتضليل، وهو ما عرف بعد ذلك بالدعاية السوداء.

– وهناك أسماء متعددة للحرب النفسية مثل: الحرب العقائدية، حرب الأعصاب، الحرب السياسية، الحرب الباردة، حرب الأفكار، السيطرة على عقول الرجال وإرادتهم، التسميم السياسي ..

– واسم الحرب النفسية هو المصطلح العام لهذا النوع من الحروب الذي يسعى إلى تغيير سلوك الفرد والسيطرة على عقله وإرادته، وكلها أمور نفسية ..

* **أهداف الحرب النفسية:** ويتضح مفهوم الحرب النفسية أكثر من خلال تبيان غايات الحرب النفسية وأهدافها في الحياة المعاصرة .. وهذه الأهداف لا تتعدى واحدًا من أربع وهي:

١– تحطيم إيمان الخصم بعقيدته وإدخال الشك بها.

٢– إدخال الخوف والرعب في نفسه لدفعه إلى الهزيمة النفسية قبل الحربية.

٣– استغلال بعض الانتصارات التي توصل إليها الطرف المهاجم، لإضعاف الثقة في عقيدة العدو.

٤– رفض دعاية بدعاية مضادة.

ولتحقيق هذه الأهداف يلجأ الخصم إلى وسائل متعددة، وقد ساعدت وسائل الاتصال الحديثة في ذلك .. ومن هذه الوسائل الدعاية والشائعة وغسيل الدماغ ..

---

(١) د/حامد ربيع(الرأي العام الدولي والسلوك السياسي)، مقال بمجلة السياسة الدولية: ١٩٦٦/٩/٦م.

(٢) صلاح نصر: الحرب النفسية: ٩٠/١، دار القاهرة ط: ١، عام ١٩٦٧م.

(٣) المصدر السابق: ص٩٢.





المبحث الأول :

القرآن والحرب النفسية :

أولا : صور قرآنية من الحرب النفسية قبل الإسلام :

ثانيًا : صور قرآنية من الحرب النفسية بعد البعثة النبوية :

أ- صور من الحرب النفسية في المرحلة المكية :

ب- صور من الحرب النفسية في المرحلة المدنية :

أولاً : جبهة المنافقين.

ثانيًا : جبهة اليهود.



المبحث الأول

القرآن والحرب النفسية

أولا : صور قرآنية من الحرب النفسية قبل الإسلام:

إن ظاهرة الحرب النفسية ليست جديدة، إن قلنا: إنها ليست إلا الجانب المعنوي من القتال بين الشعوب، فمنذ أقدم العصور عرف قواد المعارك أهمية إطلاق الشائعات لإضعاف الروح المعنوية. وكذلك استخدام القادة الخداع والحيل المختلفة لإثارة الفتن وتفريق المجتمعات بعضها عن بعض، والظهور بمظهر القوة لإرهاب الآخرين.

وإن أهم هدف تسعى إليه الحرب النفسية قديمًا وحديثًا هو زرع الخوف في نفوس من توجه إليهم، لأن انفعال الخوف نفسيًا متعلق بغريزة حب الحياة وكراهية الموت، ويترتب على الخوف الهرب من المعارك، وفي غيرها عدم الشعور بالأمن والاستقرار، والحياة بقلق دائم.

لذلك كان من نعم الله عز وجل على قريش – وحتى في حالة إشراكهم بالله – نعمة الأمن من الخوف، لأنهم أهل الحرم: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾ ﴾[قريش: ٣، ٤]. استجابة لدعاء إبراهيم عليه السلام عقب بناء البيت وتطهيره: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾[البقرة: ١٢٦]، ومن نعم الله عز وجل التي أنعمها على المؤمنين نعمة الأمن بعد الخوف: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور: ٥٥].

وبالمقابل أذاق الله عز وجل الكافرين والظالمين أنفسهم لباس الجوع والخوف: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [النحل: ١١٢].

ومن القصص القرآنية التي تدل دلالة واضحة على تأثير الخوف في النفوس التي لم يكتمل إيمانها، ومن ثم ترتد على أدبارها خاسرة، ومن هؤلاء قوم موسى عليه السلام في فترة من فتراتهم، وذلك عندما أمرهم نبيهم بدخول الأرض المقدسة، فامتنعوا من دخولها لخوفهم من سكانها الجبارين، ذوي



القوة الجسمية الكبيرة، قال تعالى يصف هذه الحادثة الكبيرة: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [المائدة: ٢١-٢٦].

وفي مقابل هذه القصة، نجد أن الحرب النفسية تصبح كلمات جوفاء بوجود الإيمان الصادق والعزيمة الثابتة في قصة أصحاب الرسول ﷺ قبل وقعة بدر الكبرى. قال ابن إسحاق: (ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش أنكم إذا خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا، فقال أبو جهل بن هشام: والله لا نرجع حتى نَرِدَ بدرًا – وكان بدر موسمًا من مواسم العرب تجتمع لهم به سوقٌ كل عام – فنقيم عليه ثلاثًا فننحرر الجُزُرَ، ونطعم الطعام، ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعِنا، فلا يزالون يهابوننا أبدًا بعدها فامضوا)[(١)]. ولم يرهب صحابة رسول الله ﷺ من قوله هذا..

وهذا يظهر واضحًا من قول المقداد بن عمرو رضي الله عنه لرسول الله ﷺ، والرسول يستشير أصحابه وقد علم بخروج قريش والجمع الذي جمعوه، (يا رسول الله امضِ لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: (فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرتَ بنا إلى بَرْكِ الغِمَاد[(٢)] لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فقال له رسول الله ﷺ خيرًا ودعا له)[(٣)].

وفي قصة موسى عليه السلام مع فرعون، نتلمس أيضًا بعض أسلحة الحرب النفسية مثل الدعاية الكاذبة والمكر والسحر، وإن كانت الوسائل بدائية تختلف عن الوسائل الإعلامية الحديثة، إلا أنها

(١) سيرة ابن هشام: ٢٥٨/٢، دار الفكر دمشق.

(٢) برك الغماد: موضع في اليمن.

(٣) سيرة ابن هشام: ٢٥٣/٢، البداية والنهاية: ٢٦٢/٣.



كانت تؤدي الغرض المرسوم لها، فَرُدَّ مكرهم وسحرهم وبالا عليهم ونهاية فرعون تعبر عن نهاية الطغاة على مر العصور.

هذه الأسلحة التي أشرنا إليها نستطيع إيجازها بما يلي:

١- الدعاية الكاذبة: فرعون مصر على ظلمه وجبروته واستعباده لعباد الله يرى أنه على الحق، وأنه يهدي قومه سبيل الرشاد، والخير والصلاح: ﴿ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ [غافر:٢٩]. وهل طغاة اليوم البعيدون عن شريعة الله وهداه، إلا صورة مكررة من فرعون موسى عليه السلام، الذين يظنون أنفسهم على حق وغيرهم على باطل .. وأنهم هم المصلحون وغيرهم المفسدون.

٢- مقابلة الحق والهدى بالضلال والخداع والسحر: وفرعون يقابل الحقائق الإلهية التي أتى بها موسى عليه السلام ومعجزاته بسحر خادع للعيون، ووهم تخيلي لاسترهاب الآخرين، وصرفهم عن الحق، وما أكثر ما استعملت أشكال الحرب النفسية لإرهاب الآخرين، وتخويفهم بأساليب هي أعتى من السحر، وخداع الرأي العام بالشعارات البراقة التي لا مضمون لها لصرف الناس عن الحق: ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ۝ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴾ [طه: ٢٦-٥٨].التخويف والإرهاب: إدخال الخوف والرعب في نفوس الآخرين من أهم غايات الحرب النفسية قديمًا وحديثًا، وهو سبيل الطغاة والظالمين في كل زمان، لأن الظالم لا يحب مَن يعترض عليه ظلمه، ولا مَن ينطق بكلمة الحق، فهذا هو فرعون مصر يهدد ويتوعد الذين آمنوا بموسى بعدما انكشف لهم الحق: ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه:٧١]. ولعل في هذه القصة درسًا بليغًا لأجيال المؤمنين. فالإيمان هو أقوى من كل حرب نفسية أو مادية، وأن الإيمان هو الصخرة الصلدة التي تقف في وجه الطغاة.

وفي قصة يوسف عليه السلام ملامح من الحرب النفسية أيضًا وأساليبها وبعض أشكالها نستطيع إيجازها فيما يلي:



١) المكر والخديعة، وإظهار النصح والحب، مع أن القلوب مُلئت حقدًا وغيظًا وذلك بفعل إخوة يوسف عليه السلام الذين بيتوا ليوسف وأرادوا إبعاده عن أبيه، والتقرب إلى أبيهم وأن يحلوا محله: ﴿ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ١١ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ١٢ ﴾ [يوسف:١١، ١٢].

٢) الظهور بمظهر البريء من الذنب لإبعاد التهمة: ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ ﴾ [يوسف: ١٦، ١٧].

٣) إلصاق التهم الباطلة بالآخرين، وستر الخيانة بستار من الدعاية الكاذبة المباشرة (الدعاية السوداء كما يطلق عليها حديثًا) وهو ما كان من امرأة العزيز تجاه يوسف عليه السلام عندما حاولت إغواءه فأبى: ﴿ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٥ ﴾ [يوسف:٢٥].

٤) الشائعة وسرعة انتشارها في المجتمع، وهي من أخطر أسلحة الحرب النفسية وموضوع الشائعة هنا "امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه" وأنها تحب فتاها: ﴿ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٠ ﴾ [يوسف: ٣٠]. ومادام الأمر يتعلق بامرأة العزيز والحديث علاقة حب وغير ذلك كان انتشار الشائعة بين النساء أكثر من الرجال.

٥) التهديد والإرهاب للضغط على الآخرين، وهنا امرأة العزيز على الرغم من انتشار خبرها في المدينة، وعلى الرغم من انكشاف أمرها، فإنها لا تزال مصرة على موقفها حتى تحقق رغبتها .. وها هي تخاطب النسوة اللواتي شاعت بينهن فضيحتها تقول لهن بدون حياء مهددة متوعدة: ﴿ قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ٣٢ ﴾ [يوسف: ٣٢].

وفي قصص الأنبياء عليهم السلام أمثلة حية وبينة لأشكال مختلفة من هذه الحرب النفسية، بين الأنبياء وأقوامهم، كمثل الدعايات الكاذبة والاتهامات الباطلة وتهديدهم بالقتل والسجن.

وإن كلمة " الملأ " التي تتردد في القرآن الكريم وإن كانت تعني الأشراف والكبراء وأهل



الرأي، ولكنها تعبر عن الرأي العام – في المصطلح الحديث – أو من يمثل الرأي العام الكافر في عهد الأنبياء عليهم السلام .. الذي وقف في صراع مع أنبياء الله، ومع المؤمنين الذين هداهم الله. هذا الملأ هو الذي شنَّ الحرب النفسية على الأنبياء الذين ما أرسلوا إلا لهدايته إلى الطريق المستقيم، وإلى صراطه الحميد. وهي صورة واحدة تتكرر مع جميع أنبياء الله عليهم السلام – .

– الملأ مع نوح عليه السلام – يتهمه بالضلال وهو الرسول من رب العالمين: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الأعراف: ٦٠، ٦١].

- ويتهمه بالكذب حاشاه: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[هود: ٢٧].

- والسخرية منه للإقلال من شأنه ونزع هيبته من الناس: ﴿ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ﴾ [هود:٣٨].

- ومع صالح عليه السلام، يظهر الملأ بصورة المتكبرين على المؤمنين الضعفاء، ويجاهرون بكفرهم لصالح وهم الأقوياء المتكبرين: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٧٥، ٧٦].

- ومع شعيب عليه السلام، الملأ من قومه يهددونه بالنفي من المدينة إن لم يرجع عن دينه الذي يدعو له وكذلك كل من يؤمن به: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٨].

وتهديد كل من يتبع شعيبًا عليه السلام بالهلاك والخسران: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٠]. وقد تقدم موقف فرعون من موسى عليه السلام، وهنا يتكرر الموقف مع الملأ من قومه؛ الافتراء، والكذب والمؤامرة والهمّ بالقتل، والاستكبار في الأرض والفساد، لذا فهم شركاء فرعون الكفر، ورفاقه في النار ومن أجل هذا جعلهم الله



ﷻ سواء في المسؤولية: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴾ [القصص: ٨]

هؤلاء الملأ يتهمون موسى عليه السلام بالسحر: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف: ١٠٩].

وكذلك فإن هؤلاء الملأ يدفعون فرعون للتخلص من موسى عليه السلام بحجة الإفساد في الأرض وهم المفسدون ولكن لا يشعرون: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

والملأ يأتمرون بموسى عليه السلام ليقتلوه: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [القصص: ٢٠].

وفي نهاية المطاف، فرعون الذي استخف قومه فأطاعوه، يستخف بهذا الملأ ويستخف بعقولهم، ويستخدم الميزان المادي، ليعرف دعوة موسى عليه السلام أصادقة أم كاذبة.. فيصدقونه وقد عميت أبصارهم عن الحقيقة: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [القصص: ٣٨]. هذه صورة من صور الرأي العام الكافر وموقفهم من الأنبياء وأتباعهم من المؤمنين.

ثانيًا : صور قرآنية من الحرب النفسية بعد البعثة النبوية:

إن ما تعرض له رسول الله ﷺ من المشركين والمنافقين والكفار واليهود؛ ليعد من أشد ما تعرض له صاحب الدعوة .. وأشكال محاربته ﷺ تعدد من حرب مادية إلى حرب نفسية، ويهمنا في هذا المجال ما تعرض له ﷺ وصحابته من حرب نفسية بأسلحتها المختلفة من دعاية وشائعة وتكذيب وهُزء، ومحاولات عديدة لإيقاف دعوته، بالإغراء بالمال والجاه والملك ثم بالتخويف والإرهاب. ونرى أن نقسم بحثنا إلى مرحلتين: المرحلة المكية، والمرحلة المدنية.

أ- صور من الحرب النفسية في المرحلة المكية :

نستطيع أن نوجز أسلحة الحرب النفسية التي استعملت من قبل المشركين بما يلي:

١- الدعاية الكاذبة والتكذيب: بدأت حرب قريش الدعائية بعد أن أمر الله ﷻ رسوله الكريم محمدًا ﷺ بالجهر بالدعوة وإظهار الدين: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الحجر: ٩٤].



فأظهر المسلمون صلاتهم بعد أن كانوا يستخفون فيها، فأخذ المشركون يعيبون على المسلمين صلاتهم وينكرونها عليهم[1] وأغروا برسول الله ﷺ سفهاءهم فكذبوه وآذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون، وصور لنا القرآن الكريم هذه الحملة الدعائية، داعيًا الرسول ﷺ إلى عدم الالتفات إليها باعتبارها دعاية كاذبة، وليمضِ في دعوته مادام على الحق قال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴾ [الطور: ٢٩، ٣٠] ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٥]. ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الصافات: ٣٦].

٢- السخرية والاستهزاء: ولجأت قريش إلى أسلوب آخر من أساليب الحرب النفسية كثيرًا ما اتبع حديثًا بصور مختلفة وهو أسلوب الهزء والسخرية من رسول الله ﷺ ومن آيات الله المنزلة عليه. ومن معجزاته ﷺ.

وأسلوب السخرية والاستهزاء يُتّبع لإسقاط الهيبة من الخصم في نفوس الناس فضلاً عن تغليف الحقائق بخلاف من عدم الجدية، لتمييع هذه الحقائق وإبعاد الناس عن احترامه أو التفكير فيها، وفي كلا الحالين ابتعاد الناس عمن توجه إليهم الحرب النفسية ..

وقد اتبعت قريش[2] هذا الأسلوب، وقص علينا القرآن في كثير من آياته حالهم هذا: فهم يسخرون من الرسول ﷺ حين رؤيته، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولاً ﴿٤١﴾ ﴾ [الفرقان: ٤١]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٦].

وكذلك يستهزئون بآيات الله قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الكهف: ٥٦]، وقال: ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ ﴾ [الجاثية: ٩].

والله ﷻ لن يترك المستهزئين، ولن يفلتوا من يده، والله كاف عبده محمدًا ﷺ: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ

---

[1] سيرة ابن هشام: ٢٥٣/٢، البداية والنهاية: ٢٦٢/٣.

[2] المستهزئون كانوا خمسة من رؤساء أهل مكة هم: (الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب بن أسد، والأسود بن عبد يغوث، والحرث بن الطلاطلة). انظر تفصيل ترجمتهم: البداية والنهاية لابن كثير ١٠٥/٣، سيرة ابن هشام ١٥/٢-١٦، فتح القدير للشوكاني. تفسير سورة الحجر(٤٤/٣).



ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾ [الحجر: ٩٥][1].

٣- التشهير والشتم: ولجأت قريش أيضًا إلى شتم رسول الله ﷺ. وذلك للتقليل من شأنه وإظهار ضعفه أمام الناس في مكة.

يروي ابن إسحاق، أن أم جميل[2] حمالة الحطب كانت تهجو النبي ﷺ بعد ما نزل فيها القرآن الكريم وعرفت ما ينتظرها من سوء المصير. فقد كانت ترتجز: (مُذَمَّمًا عَصَينا، وأَمْرَه أَبَيْنَا، ودينه قَلَينا).

وكانت قريش إنما تسمي رسول الله ﷺ مُذَمَّمًا، ثم يسبونه، فكان رسول الله ﷺ يقول: "**ألا تعجبون لمَّا صرفَ الله عني أذى قريش يَسُبون ويهجُون مُذَمَّمًا وأنا محمد**"[3].

وأن أمية بن خلف كان إذا رأى رسول الله ﷺ هَمَزَهُ ولَمَزه، فأنزل الله تعالى:﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ﴾ [الهمزة: ١][4].

وكذلك أطلقت قريش على الرسول الكريم ﷺ لقب الأَبْتر، وذلك لما مات إبراهيم بن رسول الله ﷺ خرج أبو جهل إلى أصحابه فقال بُتِر محمد فنزلت الآية: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ﴿٣﴾ ﴾ [الكوثر: ١-٣]. وقيل القائل هو عقبة بن أبي معيط[5].

٤- التعتيم والتشويش[6]: حينما يئست قريش من غلبة رسول الله ﷺ بالحجة والبرهان لجأت إلى ما يسمى اليوم بالتعتيم الإعلامي، والتشويش الإعلامي.

وهذا الأسلوب كثيرًا ما تلجأ إليه الدول المتخاصمة، أو يلجأ إليه الحاكم المستبد، حتى لا تصل الحقائق إلى الآخرين، والتشويش على الحقائق الذي يذيعها الخصم ..

ومعروف لدينا أجهزة التشويش الحديثة التي تستخدمها الدول الآن –وخاصة أثناء الحروب ..

---

(1) البداية والنهاية لابن كثير ١٠٥/٣، سيرة ابن هشام ١٥/٢-١٦، فتح القدير للشوكاني. تفسير سورة الحجر(٤٤/٣).

(2) أم جميل: أروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان، زوجها أبو لهب، عبد العزى بن عبد المطلب.

(3) السيرة النبوية لابن هشام: ٣٧٨/١. (رجل مذمم: مذموم:ج١ مادة: ذم).

(4) المرجع السابق، والهمزة الذي يشتم الرجل علانية ويكسر عينه، واللمزة الذي يعيب الناس سراً ويؤذيهم.

(5) فتح القدير للشوكاني(تفسير سورة الكوثر).

(6) جاء في مختار الصحاح(مادة: شوش): (التشويش: التخليط، وقد تشوّش عليه الأمر). إلا أن صاحب القاموس يقول: (مادة شاش): (والتشويش والمشوّش والتشوش كلها لحن والصواب: التهويش والمهوّش والتهوُّش). وفي مادة: هوش تهويشًا: خلط). وآثرنا استخدام التشويش لاشتهارها على أنها مصطلح إعلامي فضلاً عن أن لها أصل.



وما صنعته قريش لا يخرج عن هذا الإطار، وذلك بعد أن لجُّوا في كفرهم وعنادهم: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [فصلت: ٢٦]. (أي: إذا تُلي لا تستمعوا له – كما قال مجاهد – وألغَوا فيه بالمُكاء والصَفير والتخليط في المنطق)[١].

٥- الإغراء بالمال والملك: واتبعت قريش مع الرسول ﷺ أسلوب الإغراء بالمال والملك لتحويل الرسول الكريم عن وجهته، بتبليغ دعوته وتسفيه أحلامهم وعقائدهم؛ وهذا الأسلوب طالما اتبع حديثًا في الحرب النفسية التي تشن على الدعاة والمخلصين، وإغرائهم بالمال والوظائف العالية، وقد يستجيب أصحاب النفوس المريضة لهم ويتخلوا عن مبادئهم.

واتبعت قريش أسلوب الإغراء هذا .. مع الرسول ﷺ ضانة أن الأمر قضية شخصية، أو دعوة لآرائه وأفكاره.! ومحاولة الإغراء في السيرة النبوية عندما قام عتبة بن ربيعة، وكان سيدًا، وقال لرسول الله ﷺ: (يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرَنا مالاً، وإن كنت تريد بما جئت به شرفًا سوَّدناك علينا حتى لا نقطع أمرًا دونك، وإن كنت تريد به ملكًا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رأيًا تراه لا تستطيع ردّه عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبريك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال: "**أوقد فرغت يا أبا الوليد**"؟ قال: نعم. قال: " فاستمع مني"، قال: افعل فقال: "﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٌ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٌ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ **[فصلت: ١-٥]**. ثم مضى رسول الله ﷺ يقرؤها عليه كلما سمعها عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدًا عليهما يسمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد ثم قال: "**قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك**".

٦- المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية: ولجأت قريش إلى سلاح المقاطعة، وذلك عندما رأت أن الإسلام ينمو بين القبائل، ولم ينفع ملاحقة المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة وأن حمزة أسلم وكذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فقررت قريش مقاطعة الرسول ﷺ اقتصاديًا واجتماعيًا في كتاب يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب على أن ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا

---

[١] تفسير ابن كثير: تفسير الآية: ٢٦: فصلت.



يبيعوهم شيئًا، ولا يبتاعوا منهم، وكتبوه في صحيفة علقوها في جوف الكعبة توكيدًا على أنفسهم، وبقي الرسول ﷺ وصحابته ثلاث سنوات متواليات على هذه الحال لا بَيع ولا شراء ولا زواج، ورسول الله صابر وهو يرى ما يؤلمه؛ زوجه خديجة الطاعنة في السن وعمه أبو طالب وبقية آله وصحبه، ومع ذلك لم يتوقف يومًا عن تبليغ دعوته ليلاً ولا نهارًا.. وسرًا وجهارًا[١].

وهكذا ضرب الصحابة مثلاً رائعًا في الثبات على الحق، والصبر على الشدائد، والتضحية بكل غالٍ في سبيل الله دون أن يتنازلوا قيد شعرة عن عقيدتهم.. حتى قام نفر من قريش من أهل المروءة في نقض الصحيفة وبكل ما فيها من الظلم[٢].

وهكذا نجد أن هذه المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية لم تزد الجماعة المسلمة إلا ثباتًا على الحق وذلك بوجود الإيمان الصادق.. والذي تتحطم على صخرته كل الحروب النفسية والمادية.

٧- الإرهاب والتآمر: تفنن الطغاة في كل زمان في أساليب الحرب النفسية الموجهة إلى خصومهم بل قد استعانوا بالخبراء في الإرهاب والتآمر والتعذيب وغسيل الدماغ، وغايتهم واحدة هي ارتداد هؤلاء الخصوم عن عقيدتهم التي يؤمنون بها .. إلى ما يرغب الطاغية وما يريد ..

هذه الصورة الحديثة من الحرب النفسية وما تتضمنه من إرهاب وتآمر وقتل وتعذيب تنطبق أيضًا من حيث المضمون على ما أصاب الرسول ﷺ والمسلمون على يد مشركي قريش، فبينما النبي ﷺ ساجد – ذات يوم – في المسجد وحوله أناس من قريش، إذ جاء عقبة بن أبي معيط بسلا جزور[٣] فقذفه على ظهر النبي ﷺ فلم يرفع رأسه، فجاءت ابنته فاطمة عليها السلام فأخذته من ظهره ودعت على من صنع هذا .. ودعا عليهم النبي ﷺ[٤].

وفي آخر المطاف تتآمر قريش على قتل النبي ﷺ بعد أن عجزت عن إيقاف دعوته، التي أخذت تمتد إلى خارج مكة .. وذلك قبيل هجرته ﷺ إلى المدينة ..

قال ابن إسحاق: فكان مما أنزل الله في ذلك اليوم وما كانوا أجمعوا له قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ۝٣٠ قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي

---

[١] حلية الأولياء:: ٩٣/١.

[٢] البداية والنهاية: ٩٥/٣.

[٣] سلا الجزور: وهو اللفافة يكون فيها الولد في بطن الناقة وسائر الحيوان، وهي من الآدمية والمشيمة.

[٤] رواه البخاري في باب ذكر ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين. فتح الباري: ١٦٤/٧.



مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الطور: ٣٠، ٣١]، قال ابن إسحاق: فأذن الله لنبيه ﷺ بالهجرة[١].

٨- السجن والتعذيب: وكان نصيب المسلمين السجن والتعذيب بعدما يئست قريش من رسول الله ﷺ ومن عمه أبي طالب. (فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم، ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر، من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم، فمنهم من يفتتن من شدة البلاء الذي يصيبه، ومنهم من يَصلب لهم ويعصمه الله منهم)[٢].

ب- صور من الحرب النفسية في المرحلة المدنية: واجه الرسول ﷺ الحرب النفسية التي شنت عليه من جبهتين في المدينة هما:

أولاً: جبهة المنافقين.

ثانيًا: جبهة اليهود.

ويمكن إيجاز الغاية من حربهما للرسول ﷺ بما يلي:

- هزيمة الرسول ﷺ وصحبه في قتالهم مع مشركي قريش.
- القضاء على الدعوة وتمكين المشركين واليهود من التسلط على المدينة.

وكان سلاح كل من المنافقين واليهود في هذه الحروب هو:

١- إثارة الشائعات المختلفة حول الرسول ﷺ وأهله لإزالة قدسية الدين ومن ثم إظهار الرسول ﷺ بالمظهر الإنساني العادي.

ومن الشائعات التي تعرض لها رسول الله ﷺ أيضًا من المنافقين وكانت تهدف إلى هدم الدعوة وقدسيتها في نفوس المسلمين في الدرجة الأولى، بالإضافة إلى التشهير بأهله أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وبعرضها، وهي الطاهرة النقيّة، ما يعرف بحادثة الإفك، أو بقصة الإفك، وقد ذكرها القرآن الكريم[١]، وبسطتها كتب الحديث.

٢- الدعايات الكاذبة، واستخدام الشعر في ذلك للتشهير بالرسول ﷺ وصحبه ..

وسنرى - بإذن الله - كيف حاول كل من المنافقين واليهود الوصول إلى غاياتهم .. إلا أنهم وجهوا بالإيمان الصادق، والعزيمة، والشجاعة .. والوعي العميق مما أفشل هذه الحرب، ورد

---

(١) البداية والنهاية: ١٧٧/٣.

(٢) سيرة ابن هشام: ٣٣٩/١، ٣٤٠، طبقات ابن سعد: ٨٢/٣، الاستيعاب: ٢٨٨/١.

(١) ارجع إلى البخاري، وقد ذكرها في أبواب كثيرة منها: في تفسير سورة النور باب: ﴿ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرًا ﴾ [النور: ١٢].



كيدهم في نحورهم .. وجاء نصر الله والفتح .. ودخل الناس في دين الله أفواجًا ..

أولاً – جبهة المنافقين: بعد أن قام المجتمع الإسلامي في المدينة، وأصبح للمسلمين قوة ودولة، أخذت ظاهرة النفاق تبرز على السطح، لذا لم يكن في مكة نفاق[1] لأن الإسلام هناك كان مغلوبًا على أمره ولا يملك لأحد نفعًا ولا ضرًا.

ونعرض الآن بعض مواقف المنافقين في المدينة وكيف صور القرآن ذلك:

– موقف المنافقين قبل غزوة الأحزاب وكان دورهم التثبيط عن الجهاد وخلخلة الصف المسلم، وكانت الدعاية في ذلك الوقت تجد أرضًا خصبة لها، إذ النفوس متوفزة، والخوف مخيم على القلوب، ومن هنا يأتي خطر المنافقين على الصف المسلم، إن وجدت دعاية المنافقين قبولاً. لذا كانت رعاية الله لرسوله وللمؤمنين في الكشف عن شخصية المنافقين ودخيلة نفوسهم وجبنهم في القتال. قال تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ١٨، ١٩].

– وموقف آخر أثناء المعركة، وفي غزوة أحد، إذ أشاع المنافقون أنّ الرسول ﷺ قد قتل، وذلك بعد أن كسرت رباعيته وشُجّ وجهه ﷺ .. وسرعان ما انتشرت الشائعة في صفوف المؤمنين والمشركين، ولقد كان يوم بلاء وتمحيص، وكانت دعاية المنافقين والمشركين ذات أثر بالغ في صفوف المسلمين فتوقف بعضهم عن القتال .. وكانت كلمة أنس بن النضر رضي الله عنه الصادقة بمثابة الدعاية المضادة .. وذلك عندما رأى رجالاً من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قتل رسول الله ﷺ. قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا وموتوا على ما مات عليه رسول الله ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل[2].

– وموقف ثالث للمنافقين، يتبين فيه دورهم في تثبيط المسلمين عن الجهاد حتى يهزموا في المعركة، وذلك في غزوة أحد عندما تخاذلوا وخافوا على أنفسهم من القتل، ولاشك أن تخاذل جزء من الجيش في المعركة، يضعف الجيش ويوهنه ماديًا ومعنويًا، وقد كشف الله تعالى هذه

---

[1] وهو الذي يرجحه أكثر المفسرين والمؤرخين، وجميع السور التي ذكر فيها النفاق مدنية، وقد جاء في سورة التوبة: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ ﴾ [التوبة: ١٠١].

[2] السيرة النبوية لابن هشام: ٣/٣١.



الطائفة وأظهر خبيئة نفوسهم بقوله: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

ثانيًا – جبهة اليهود: لما هاجر النبي محمد ﷺ إلى المدينة، وحاول أن يتألف قلوب اليهود، فعقد معهم المعاهدات[٢]. وأحسن معاملتهم. ولكن اليهود قابلوا هذه المعاملة بالمثل ظاهرًا إلا أن قلوبهم تفور بالأحقاد والحسد باطنًا، وخاصة وقد بعث النبي من غيرهم، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، والقصة الآتية تبين هذه النفسية اليهودية الحاقدة: عن أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب[٣] قالت: **(** كنت أحب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل بقباء في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي: حيي بن أخطب، وعمي أبو ياسر مُغْلسين[٤]، فلم يرجعا حتى كان غروب الشمس فأتيا كالّين كسلانين، ساقطين يمشيان الهوينى، قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فو الله ما التفت إليّ واحد منهما مع ما بهما من الغم. قالت: وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي ابن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله، قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم، قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت**)**[١].

هذا هو موقف اليهود من النبي ﷺ وهو ما زال على أبواب المدينة .. وقد ظهرت بعد ذلك أحقادهم. فأثاروا حربًا عاصفة من الجدل والشبهات، والكيد والدس، والتآمر والتحريض على النبي ﷺ والمؤمنين، حتى حالفوا المشركين، والمنافقين، في سبيل النيل من المسلمين .. وبقي هذا ديدنهم على مر العصور، خداع ودس وتآمر.

---

[٢] السيرة النبوية لابن هشام: ١١٩/٢.

[٣] هو: زعيم بني النضير وحبرهم، وقد ضل يؤجج العداوات ضد الإسلام بعد هزيمة قومه في السنة الثالثة للهجرة، إلى أن قتل مع بني قريظة عقب خيانتهم في معركة الخندق، وصفية رضي الله عنها تزوجها الرسول ﷺ بعد فتح خيبر سنة ٧هـ. انظر: البداية والنهاية: ٧٤/٤، ١١٦.

[٤] الغلس: ظلمة آخر الليل.

[١] البداية والنهاية: ٢١٢/٣، سيرة ابن هشام: ١٤٠/٢.



وحتى اللعبة الخطيرة التي يمثلونها اليوم تحت اسم: " الحمائم " أو " الصقور "[٢] هي لون قديم من خداعهم، ويشير إليها القرآن الكريم بأسلوب التكرار المطرد كالآية: ﴿ أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة: ١٠٠].

وقد ظهر مصداق هذا في كل تصرفاتهم القديمة والمعاصرة على سواء، وتواطأت على هذا الدرب أجيالهم ..

– ابتداء من عهودهم مع الله تعالى على يد كبار أنبيائهم كما قال تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَـٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ ﴾ [النساء: ١٥٤، ١٥٥].

– وانتهاء بما صنعوا مع النبي ﷺ من غدر، ونقض للعهود في أحرج الظروف، وأحلك المعارك، كما صنع " بنو قريظة " يوم الأحزاب فعوجلوا بالعذاب: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٦، ٢٧]. ناهيك عما صنعه اليهود مع غير الأنبياء، وما زالوا يفعلونه، من غير خجل ولا اعتبار للقيم والأخلاق .. والأمثلة على ذلك كثيرة[٣].

وقضية غدربني قريظة ونقضهم عهد رسول الله ﷺ في غزوة الأحزاب، ومحاولة طعن جيش المسلمين من الخلف. لابد من وقفة قصيرة، لما لهذا الغدر من وقع شديد على المسلمين وعلى معنوياتهم، وهم يواجهون المشركين، وتصور الآيات الكريمة هذا الوضع أبلغ تصوير: ﴿ إِذْ

---

[٢] أي: يظهر جماعة منهم التفاهم ةاللين، ويظهر آخرون التشدد، ومقصد الجميع واحد في الشر والأذى.

[٣] أقرب مثال لذلك تفسيرهم للقرار الشهير ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧م الخاص بالجلاء عن الأرض العربية في فلسطين المحتلة، فقد فسروه بحيلة لغوية شيطانية وقالوا إنه يعني الجلاء عن(أراض) بالتنكير، وليس عن(الأراضي) بالتعريف، وجعلوا ذلك ذريعة للبقاء في القدس وغيرها، بل جعلوا ذلك وسيلة للمساومات والمجادلات، وأغراهم بهذا العبث أن أصحاب القضية في كل واد يهيمون ويقولون ما لا يفعلون، ومن هذا الباب أيضًا خرقهم اتفاقيات الهدنة التي وقعت معهم في كل الجبهات وفي جميع الحروب ابتداء من عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٧٣م (ارجع إلى: معركة الوجود بين – القرآن والتلمود – د/ عبد الستار فتح الله سعيد ص١٢٩).



جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ﴿١١﴾ ﴾ [الأحزاب: ١١، ١٢].

- ومن صور دعاية اليهود ضد المسلمين، ما قام به كعب بن الأشرف أحد رؤساء اليهود، وكان شاعرًا، والشعر من أسرع وسائل الاتصال في ذلك العهد، فقد كان شديد الأذى لرسول الله ﷺ وصحابته، إذ كان يشبب[١] في أشعاره بنساء الصحابة فلما كانت وقعة بدر، ذهب إلى مكة فجعل يؤلب على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين، ثم رجع إلى المدينة على تلك الحال.

قال تعالى مبينًا للمؤمنين طبيعتهم حتى لا يطمعوا بإيمانهم وتعديل سلوكهم هذا، وأن على المؤمنين أن يعرفوا جيدًا نفسية اليهود: ﴿ أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [البقرة: ٧٥].

فاليهود يحرفون (كلام الله) من بعد ما عقلوه، فهم لا يفعلون ذلك ناسين أو جاهلين وإنما يزاولون التحريف[٢] عامدين وهم يعلمون. ولذلك أمعن اليهود في الفحش والافتراء على أئمة الأنبياء قبلهم مثل: نوح وإبراهيم ولوط – عليهم السلام –. بل وصموا أعلام أنبيائهم – عليهم السلام – بكل منكر وفاحشة مثل: موسى، وداود، وسليمان – عليهم السلام – [٣].

وبهذه النفسية القبيحة حشوا التوراة، وسائر أسفارهم (المقدسة) – في زعمهم – بكل ضلالات الاعتقاد، وشناعات التشريع، وموبقات الأخلاق، وأساطير القصص والأخبار، ونسبوا ذلك إلى الوحي والأنبياء، وبذلك أصبح اليهود علمًا متفردًا في الضلالة والبهتان، وغدت كلمة الإسرائيليات عنوانًا للأكاذيب والمفتريات والأباطيل، ومن العجيب أن يتسرب كثير من هرائها إلى ثقافة المسلمين، بل وصلت إلى تفسير القرآن العظيم، حتى غص بظلمات هذه الإسرائيليات وذلك حين غفل بعض المسلمين عن حقيقة (النفسية اليهودية) وأبقوا لحسن الظن بقية في بعض بني إسرائيل، ناسين هذه الوصايا والتحذيرات القرآنية الصريحة.

والنفاق اشتهر به اليهود في العهد النبوي أيضًا، فضلاً عن منافقي المدينة، الذين تشابهت

---

[١] أي: تغزل فيهن وذكرهن في شعره

[٢] أخطر ألوان التحريف اليهودي ما قاموا به من ترجمة أناجيل المسيحية وتحريفها في أكثر من(٦٣٦) موضعًا (راجع كتاب: إسرائيل حرفت الأناجيل: ص٣٧ وما بعدها).

[٣] ارجع إلى كتاب: فضائح التوراة، د/أحمد عبد الرزاق مصطفى – دار صائب، دير الزور – ط١- ٢٠٠٤م.



قلوبهم، ومناهجهم، مع الإصرار على الكفر الباطني في كل حال قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴾[المائدة: ٦١].

هذه بعض صور الحرب النفسية التي شنت من قبل اليهود والمنافقين على الإسلام والمسلمين في الصدر الأول..ذكرناها بإيجاز ليطلع المسلم على طبيعة (النفسية اليهودية)على مر التاريخ، وليوظف هذا الوعي في الصراع الدائر اليوم بين اليهودية والإسلام، وليطلع المسلم أيضًا على دور المنافقين في الدولة الإسلامية الحديثة من الدس والتحريض على الإسلام والمسلمين، وهم يلبسون ثوب الإخلاص وحب الوطن. ويستخدمون وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة المؤثرة، وقلوبهم مملوءة بحب أعداء الإسلام الذين يكيدون له صباح مساء.



المبحث الثاني

مبادئ الحرب النفسية في الإسلام

أولاً : أسس الحرب النفسية في الإسلام.

١- إعداد القوة البشرية والمادية المرهبة للعدو.

٢- مدد الله للمؤمنين بقذف الرعب في قلوب أعدائهم.

٣- استخدام أسلحة الحرب النفسية بشكل متقن:

(أ) الدعاية.

١) الجهاد باللسان.

٢) الدعاية بالأعمال الرمزية.

(ب) الشائعات.

ثانيًا : مقاومة الحرب النفسية المعادية – وطرقها.

١- الإيمان الصادق بالله.

٢- الوعي بأهداف العدو وأساليبه في الحرب النفسية.

٣- كتمان الأسرار ومنع ترويج الشائعات.

٤- التصدي للقوى المضادة المستترة.

٥- مواجهة الشائعات والدعايات بالحقائق.



المبحث الثاني:

مبادئ الحرب النفسية في الإسلام

بعد أن بينا ماهية الحرب النفسية وصورها في القرآن الكريم، نعرض مبادئ هذه الحرب في التصور الإسلامي، وهذه المبادئ مستوحاة من كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن سنة رسول الله العظيم محمد ﷺ.

أولاً : أسس الحرب النفسية في الإسلام:

تقوم الحرب النفسية في الإسلام على ثلاثة أسس مهمة هي:

١. إعداد القوة البشرية والمادية المرهبة للعدو.

٢. مدد الله للمؤمنين بقذف الرعب في قلوب أعدائهم.

٣. استخدام أسلحة الحرب النفسية بشكل متقن.

(١) إعداد القوة البشرية والمادية المرهبة للعدو: قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

والتعبير القرآني (مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ) يتضمن القوى البشرية والمادية والأسلحة بجميع أشكالها وأنواعها ولا يخفى ما لاستعراض القوة من إرهاب للآخرين. وتعبير (رِّبَاطِ الْخَيْلِ) يشير إلى أن المرابطة الدائمة والتأهب لملاقاة الأعداء في كل وقت .. من أسباب إرهاب الأعداء.

وتعبير (وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ) يدلل على أن الإرهاب للعدو يتعدى العدو المباشر، إلى أعداء لا يعلمهم المسلمون، وهذه القوة ترهبهم وتردعهم بحيث لا يفكرون في التصدي لهم[١].

ومصادر القوة في الإسلام كما توحيها هذه الآية الكريمة هي :

أ – القوى البشرية المدربة على السلاح، كيفما كان، وعلى جميع أوجهه.

والإسلام حض على تقوية الجسم والتدريب على السلاح منذ الصغر، عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا قال: (علموا أبناءكم السباحة والرمي والمرأة المغزل)[٢].

والرماية فن وتدريب، واهتمام الإسلام بها في تربية الأبناء، دليل على أن أمة الإسلام أمة مجاهدة

---

[١] في ظلال القرآن، تفسير سورة الأنفال.

[٢] رواه البيهقي(المقاصد الحسنة) للسخاوي – حرف العين.



لا تعرف الخضوع والذل. وقد خص الرسول ﷺ القوة في الرمي فقط بقوله ﷺ وهو على المنبر: "وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي".

والرمي هو رمي السهام على الأعداء في عهد رسول الله ﷺ .. واليوم الرمي هو أكبر قوة رادعة في العالم، بل هو الذي يتحكم بنتائج المعارك الحربية. ويبدأ من رمي البندقية العادية إلى رمي الصواريخ العابرة للقارات الحاملة للرؤوس النووية، وإن الخوف من بطشها الشديد بين المعسكرات القوية اليوم هو الذي يمنع قيام الحروب، وتؤدي دورًا مهمًا في الحروب النفسية في الوقت الحاضر.

ب – ومصدر آخر للقوة هو قوة السلاح، لذا نجد بعض المفسرين ينقل قول سعيد بن المسيب رحمه الله: (القوة: الفرس إلى السهم فما دونه)[1].

وهذا يشمل في الوقت الحاضر: الطائرات والقنابل والصواريخ بأنواعها وقال بعضهم: (القوة الحصون) وهي تشمل في الوقت الحاضر الدبابات والمدرعات بأنواعها البرية والمائية .. بل وحتى الصواريخ المضادة لصواريخ الأعداء، بحيث تبطل مفعولها، مادام مفهوم الحصن هو المانع للأعداء من تحقيق النصر.

ج– التأهب الدائم والمرابطة: والتأهب الدائم من العناصر التي تقنع العدو بحيث لا يستطيع مباغتة المسلمين، والمعروف أن تعرض الجيش للمباغتة يضعف من قدرته وكفاءته القتالية. من أجل ذلك عُني الإسلام عناية بالغة بالحذر واليقظة والتأهب وجعلها من العناصر التي لا تنفصل من القوة، فلو تأملنا الآية الكريمة: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ .. ﴾ الآية نجد أن الله تعالى خص (رباط الخيل) بالذكر مع أنها داخلة فيما قبلها (من قوة) وهذا دليل على أهمية المرابطة وتأكيد لما بينها وبين القوة من ارتباط وثيق بحيث لا يستغني إحداهما عن الآخر:

– فالقوة: تحميها المرابطة بالحراسة واليقظة والإنذار المبكر، وهي بدونها تفقد فاعليتها وقيمتها إذا تمكن العدو من المباغتة.

– والمرابطة: في حاجة إلى القوة التي تساندها وتدعمها، وهكذا تشترك المرابطة مع القوة في تحقيق الهدف وهو إيقاع الرهبة في قلب العدو (مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ ..) الآية.

د– العقيدة الصادقة: الإيمان بالله، قوة عظيمة، تزود المؤمن المجاهد في سبيل الله ثباتاً في المعارك، وشجاعة في القتال، لأن المؤمن يعلم أن الآجال بيد الله فهو لا يخاف على الحياة، وإن

[1] انظر فتح القدير– تفسير الآيات من سورة الأنفال.



استشهد فهو حي عند الله تعالى .. وهذه القوة يرهبها العدو، ويحسب لها ألف حساب بعد أن خبر المؤمنون في قتالهم، لذلك فهي قوة رادعة أيضًا، تضاف إلى قوة الجسم وقوة السلاح ..

هـ- الوحدة وعدم التفرق: قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف: ٤].

و- الجهاد بالنفس والمال : الجهاد بالنفس وهو القتال المباشر، وهذا يكون على أرض المعركة.

أما الجهاد بالمال فهو من مقتضيات إعداد العدة لإرهاب العدو، ومما لا شك فيه أن المال والاقتصاد عصب الحرب وعدة القوة الحربية بلا جدال. لذلك ربط الإسلام بين الإستراتيجية والعسكرية والاقتصاد برباط وثيق، وهذا الرابط واضح في الآية: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

كما يتضح أيضًا فرض الجهاد بالمال مع الجهاد بالنفس على الأمة الإسلامية، بل إن الجهاد بالمال ورد مقدمًا على الجهاد بالنفس في أكثر الآيات التي تحث على الجهاد: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [التوبة: ٢٠]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الصف: ١٠].

(٢) مدد الله للمؤمنين بقذف الرعب في قلوب أعدائهم: قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ﴾ [الأحزاب: ٢٦]. وقال تعالى: ﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحشر: ٢]، وقال تعالى: ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ ﴾[آل عمران: ١٥١]، ﴿ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال: ١٢]، في هذه الآيات الكريمة تبيان لنصر الله للمؤمنين على أعدائهم وذلك بقذف الرعب وهو الخوف الشديد في قلوب الأعداء، وهو وعد من الله تعالى للمؤمنين الصادقين بإلقاء الرعب في قلوب الذين كفروا، وهذا الوعد كفيل بنهاية المعركة لصالح المسلمين وضمان لهزيمة أعدائه ونصر أوليائه. قال رسول الله ﷺ : "... **ونصرت بالرعب على العدو بين يدي مسيرة شهر** ..".

(٣) استخدام أسلحة الحرب النفسية بشكل متقن: تستخدم الحرب النفسية في الإسلام أسلحة الحروب النفسية التي تستخدمها الدول الأخرى من دعاية وشائعة وإرهاب بأساليب مختلفة نذكر منها:

أ- الدعاية: وهي من أهم أسلحة الحرب النفسية، ولقد عَرفت الحرب النفسية ذاتها بأنها الاستخدام المخطط للدعاية بهدف التأثير على عواطف وأفكار وسلوك شعوب الدول المعادية لتحطيم روحها المعنوية وإرادتها القتالية .. ومن الدعاية:

- الجهاد باللسان: وقد حَضّ عليه الإسلام وأمر به، وقرنه بجهاد النفس والمال قال ﷺ: "**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**".

ومن أشكال جهاد اللسان (هجاء المشركين) بالشعر الذي كان من أهم وسائل الإعلام في عهد رسول الله ﷺ، وعند العرب في الجاهلية وكان وقع الهجاء في نفوس المشركين كبيرًا، عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: "**اهجوا قريشاً فإنه أشد عليهم من رشق النبل**".

والرسول ﷺ كان يحض حسان بن ثابت رضي الله عنه على هجاء المشركين. عن البراء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لحسان: "**اهجهم – أو قال هاجهم – وجبريل معك**"[١].

كل هذه الأحاديث تبين أهمية الجهاد باللسان، وشدة تأثيره على الأعداء، حتى إن أهمية الكلمة الموجهة على الأعداء أشد من وقع النبل..

- الدعاية بالأعمال الرمزية: حيث إن للعمل مغزى أبلغ من الكلمات، ولو رجعنا إلى تاريخنا الإسلامي لوجدنا أن هذا النوع من الدعاية قد استخدم بغرض إرهاب العدو وتخويفه.. ومن ثم الانتصار عليه .. وهزيمته بلا قتال ..

وكمثال على هذا النوع من الدعاية .. ما جرى قبل فتح مكة من تخطيط وضعه رسول الله ﷺ .. وفعلاً نجحت الخطة .. وفتحت مكة بلا قتال والحادثة التاريخية الآتية تبين نوعين من الأعمال الرمزية لإرهاب مشركي مكة نذكرها بعد إيراد الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن هشام عن أبيه قال: (لما سار رسول الله ﷺ عام الفتح، فبلغ ذلك قريشاً، خرج أبو سفيان بن حرب وحَكيم بن حُزام وبُدَيْل بن ورقاء يلتمسون خبرًا عن رسول الله ﷺ ، فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مرّ الظهران فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة فقال أبو سفيان: ما هذه ؟ لكأنها نيران عرفة. فقال بديل بن ورقاء: نيران بني عمرو. فقال أبو سفيان: عمرو أقل من ذلك. فرآهم ناس من حرس رسول الله ﷺ فأدركوهم فأخذوهم، فأتوا بهم رسول الله ﷺ فأسلم أبو سفيان فلما سار قال للعباس: احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين، فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر مع النبي ﷺ

[١] رواه البخاري في كتاب الأدب باب هجاء المشركين برقم: (٦١٥٣).



تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان، فمرت كتيبة فقال: يا عباس من هذه ؟ فقال: هذه غفار، قال: مالي ولغفار، ثم مرت جُهينة، قال مثل ذلك الحديث[١] حتى مرت جميع القبائل).

في هذا الحديث عملان من الأعمال الرمزية لإرهاب العدو وتخويفه هما:

الأول : إيقاد النيران الكثيرة وفي رواية ابن سعد: أن النبي ﷺ أمر أصحابه في تلك الليلة فأوقدوا عشرة آلاف نار.

وكذلك عن: ابن إسحاق: (أن المسلمين أوقدوا تلك الليلة عشرة آلاف نار) ورؤية هذه النيران الكثيفة دلالة على ضخامة الجيش، ولا يخفى ما في ذلك من تخويف وإرهاب للنفوس.

الثاني: قول الرسول ﷺ للعباس: "**احبس أبا سفيان عند حطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين**..".

ب- الشائعات: وهي من أسلحة الحرب النفسية التي استخدمها المسلمون: وهي من أفتك الأسلحة لما لها من خاصية سرعة الانتشار، وخاصة إذا تحولت الشائعة إلى أسطورة دائمة في أذهان الناس لا تموت على مر الزمان .. واستخدام الشائعة – الأسطورة – إن جاز لنا التعبير يحتاج إلى حنكة ودهاء لبث الرعب في قلوب الأعداء.

ويذكر لنا التاريخ أن سيف الله خالد بن الوليد رضي الله عنه استخدم الشائعة في حربه النفسية مع الروم قبيل وقعة اليرموك إذ (إن ماهان – قائد الروم- طلب خالدًا ليبرز إليه فيما بين الصفين، فيجتمعا في مصلحة لهم فقال ماهان لخالد: (إنا قد علمنا أن ما أخرجكم من بلادكم إلا الجهد والجوع فهلموا إلي أن أعطي كل رجل منكم عشرة دنانير وكسوة وطعامًا وترجعون إلى بلادكم فإذا كان من العام المقبل بعثنا لكم بمثلها) فقال خالد: (إنه لم يخرجنا من بلادنا ما ذكرت، غير أنا قوم نشرب الدماء، وأنه بلغنا أنه لا دم أطيب من دم الروم فجئنا لذلك) فقال أصحاب ماهان: (هذا والله ما كنا نحدث به عن العرب) [٢].

وكلمات خالد فعلت فعلها، في زرع الخوف في صميم قلوب الأعداء لذلك صدق أصحاب ماهان ما قاله.. وكان بعد ذلك الانتصار العظيم للمسلمين على الروم في الشام وقد كان عدد الروم يومها يفوق عدد المسلمين أضعافًا مضاعفة.

ثانيًا: مقاومة الحرب النفسية المعادية – وطرقها: إن الحرب النفسية تستهدف تحطيم الروح المعنوية لدى المقاتلين، لذلك تتخذ الجيوش كل التدابير التي من شأنها رفع الروح المعنوية

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٤٢٨٠)، انظر فتح الباري: ٥/٨، مر الظهران: مكان قرب مكة. نيران عرفة: اشارة إلى ما جرت به عادتهم من إيقاد النيران الكثيرة ليلة عرفة.

(٢) تفسير ابن كثير: ١٠/٧.



وتقوية إرادة القتال لدى رجالها ومقاومة الحرب النفسية التي تشن من قبل الأعداء، وإزالة آثارها إن استجاب لها بعض الأفراد واستعادة الروح المعنوية العالية. ومن أهم طرق مقاومة الحرب النفسية في التصور الإسلامي ما يلي[1]:

١. الإيمان الصادق بالله: فالمؤمن لا يخاف ولا يرهب، لذا هو لا يستجيب للدعاية التي تَوَد إرهابه وإرعابه، ولا يخاف إلا من الله ﷻ وحده.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٠٠]، ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وقال تعالى واصفًا المؤمنين المجاهدين: ﴿ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ [المائدة: ٥٤].

أما المنافقون الجبناء فقد قال فيهم تعالى: ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ بالأحزاب: ١٩].

وأما المؤمنون فلا يزيدهم التهديد إلا إيمانًا: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

الوعي بأهداف العدو وأساليبه في الحرب النفسية: إن الوعي بأهداف العدو وأساليبه في الحرب النفسية من أهم عناصر المقاومة لهذه الحرب، لذلك نجد كل الجيوش تطالب كل جندي بأن يكون واعيًا ومدركًا وعارفًا بما يلي، حتى لا يخدعه أو يضلله:

- ماذا يدبر العدو ضد أمته ؟
- ما هو هدف دعايته ؟
- ماذا يريد العدو منك أن تفعله ؟
- ما هو أسلوب الحرب النفسية للعدو وما هي طبيعة دعايته .

وهذا الوعي يجعل المقاتل مستعدًا استعدادًا نفسيًا لمواجهة الحرب النفسية، وعدم الاستجابة لها والتأثر بها، وخاصة إذا كان المقاتل مسلمًا صادقًا بالإضافة إلى الوعي والمعرفة والإيمان القوي

[1] د/ فهمي النجار: الحرب النفسية(أضواء إسلامية)، ص٣٥٣، ط دار الفضيلة، الرياض ط١-١٤٢٦هـ.



والعقيدة الراسخة.

وقد عُني القرآن بكشف أهداف أعداء الإسلام والمسلمين من الكفار والمنافقين وفضح أساليبهم ومحاولاتهم للتفريق بين المسلمين، والقضاء على وحدتهم وأمنهم، ودورهم في التخذيل والتوهين وتثبيط العزائم، ومحاولتهم للتشكيك وزعزعة الثقة في النصر على الأعداء، وأرشد القرآن والمسلمين إلى طريق مواجهة هذه المحاولات ومقاومتها والقضاء عليها، وهذا ما نبينه باختصار فيما يلي:

أ- فضح محاولات التفرقة ومقاومتها: قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٠٠]، ثم قال تعالى: ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٠١]، ثم قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢، ١٠٣].

والقرآن يدعو المسلم إلى الحذر من الأعداء مع تبيان هؤلاء الأعداء: ﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المنافقون: ٤].

ويُقصد بهم المنافقون في هذه الآية.. وكذلك اليهود من أعداء الله وأعداء المسلمين قال تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾ [المائدة: ٨٢].

ب- كشف محاولات التخذيل وتثبيط العزائم: يقرر القرآن الكريم أن الدور الذي يؤديه أعداء الإسلام في التخذيل وتثبيط العزائم وإضعاف الهمم له خطورته إذا انساق في تياره أبناء الأمة، ويوضح أنه كلما لقيت دعواتهم آذاناً صاغية فإنهم يفرحون بذلك ويستبشرون، وهذا شأنهم في كل عصر.

ومن الأمثلة التي أوردها القرآن في هذا المجال أولئك المنافقون الذين دعوا المسلمين-عندما أمر الرسول ﷺ بالإعداد لغزوة تبوك – إلى أن يتخلوا عن الرسول ولا ينفروا في لظى الشمس ووهج الحر ..فجاءت الآية الكريمة تحذر من اتباعهم وتنبئهم بأن جهنم أشد حرًا وتطلب من



الرسول ألا يستعين بهم في غزوة أخرى، قال تعالى: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴾ [التوبة: ٨١-٨٣].

فالقرآن هنا لا يكشف محاولات تثبيط العزائم، ويحذر المسلمين من الاستجابة لها فحسب، بل يقرر أيضًا ضرورة تطهير الجيش من أمثال هؤلاء المنافقين لشدة خطرهم عليه.

ج – كشف محاولات زعزعة الثقة في النصر: ويكشف القرآن أيضًا محاولات أعداء الإسلام لزعزعة المسلمين في النصر فأورد مثالاً على ذلك؛ أولئك المنافقون الذين أرادوا أن ينفثوا سمومهم في أهل المدينة يشككونهم في وعد الله ورسوله بالنصر والفتح المبين، فركزوا على جانب التوهين والتخذيل والتخويف وإضعاف العزائم ليتركوا الرسول – في غزوة الخندق – وحده مع نفر قليل، وليرجعوا إلى بيوتهم متعللين بأنها غير محصنة (وكان الخندق خارج المدينة): قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ١٢، ١٣]. كتمان الأسرار ومنع ترويج الشائعات: إن توجيهات الإسلام تسد منافذ الحرب النفسية، ولا تعطي غير أهل العلم القادة والرؤساء حق الحديث عن أسرار الجيش والأمة، لأن هؤلاء أدرى بما يصلح أن يقال وما لا يقال، وخاصة في الظروف الحساسة، ولذلك لام القرآن المنافقين الذين كانوا يتظاهرون بالإسلام كما لام ضعفاء المسلمين لأنهم كانوا يفشون أمر رسول الله ﷺ ويذيعونه ويتحدثون به قبل أن يقفوا على حقيقته سواء كان هذا الأمر يتصل بحالة الحرب أم بحالة السلام والأمن وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ٨٣].

وكما حذر الإسلام من إذاعة الأسرار طلب من المسلمين أن يتثبتوا مما يصلهم من الأنباء قبل الركون إليها والعمل بها: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن



تُصِيبُواْ قَوْمًا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات: ٦].

وحذر القرآن من تناول ما لم نستيقنه أو نعلمه: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً ﴾ [الإسراء: ٣٦].

ولقد نهى الله تعالى أن يكون مصدر العلم الظن ووصف الكافرين باتباع الظن: ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ﴾ [النجم: ٢٣]، وقال: ﴿ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾[النجم: ٢٨]. ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [الحجرات: ١٢]. وأن على المسلم تحري الصدق في القول والعمل.. ومراقبة لسانه جيدًا فقد تجر كلمة واحدة عواقب وخيمة: يقول ﷺ : "**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق**"(١). وعند مسلم: "**أبعد مما بين المشرق والمغرب**".

ويحذر الإسلام من ترويج الشائعات.. وإن من أشد أنواع الكذب أن يدعي الرجل بالباطل أنه رأى بنفسه الشيء الذي يذيع عنه: قال ﷺ : "**أفرى الفرى، أن يُري الرجل عينيه ما لم تريا**"(٢). كما يكشف الإسلام مدى الجريمة التي يقترفها مُروجو الشائعات كما يفهم من قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١٥]. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[النور: ١٩].

وهكذا يدعو الله تعالى المسلمين لكي يكونوا صادقين فيما يقولون وفيما يفعلون، وأن يقدروا الكلمة قبل أن ينطلق بها اللسان، وأن يعرفوا أبعادها وعواقبها ويدركوا أنها أمانة، وأن الكذب فيها أو قولها لغير ما قيلت له غش وخداع وكذب على الله الذي يكشف الدخائل ويدرك الخفايا: قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

(١) متفق عليه (انظر فتح الباري رقم (٦٤٧٧) باب حفظ السان).

(٢) رواه البخاري في التعبير – باب من كذب في حلمه.



خاتمة

بعد عرض صور الحرب النفسية التي شنت على الدعوة الإسلامية في الصدر الأول كما صورها القرآن الكريم.. وبيان مبادئ هذه الحرب في الإسلام ونماذج منها من التاريخ الإسلامي.. يحق لنا أن نتساءل: هل توقفت هذه الحرب على الإسلام والمسلمين ؟ وذلك بعد أن رأى أعداء الإسلام النهضة الإسلامية الحديثة، وصمود المسلمين أمام غزوهم الفكري والإعلامي وحتى الغزو المادي القتالي لبلاد المسلمين..

ونحن نؤكد أن الحرب النفسية لم تتوقف، بل زادت شراسة.. وعنف وخاصة نحن في عصر التدفق الإعلامي، وعصر القنوات الفضائية.. وعصر الغزو المسلح لبلاد المسلمين من جديد في أفغانستان والعراق والصومال والشيشان وبلاد أخرى..

بل إن الدول الكبرى المهيمنة على العالم، استعملت كل الوسائل في العالم الإسلامي.. وهي لا تخبط خبط عشواء، بل تسير في خطى مدروسة، وتعتمد على دراسات اجتماعية ونفسية موثقة من علماء نفس غربيين، وعملاء حرب، ومسلمين ممن يعيش في الغرب، أو في العالم الإسلامي.. ومن خلال ما تقوم به في العالم الإسلامي من غزو فكري وثقافي، وما تنشره وسائلها الإعلامية، ومكاتب الدراسات التي بثتها في العالم الإسلامي نستطيع أن نرصد إستراتيجيتها في هذه الحرب من خلال النقاط الآتية[1]:

١- دراسة الحركات الإسلامية ورصدها.(وقد ثبت أن الولايات المتحدة الأمريكية رصدت ملايين الدولارات في عهد كارتر لهذا الشأن، انظر صحيفة القبس الكويتية – ١٣٩٩/٢/٢٢ هـ . والشرق الأوسط ١٩٧٩/١/٣١ م).

٢- السيطرة على الإعلام. (وهذا ثبت أيضًا بسيطرة اليهودية العالمية على الإعلام في الغرب. انظر كتاب نعوم تشومسكي " السيطرة على الإعلام ").

٣- تغيير الوعي الثقافي والسياسي لدى المجتمع الإسلامي.(وذلك بالضغط على الدول العربية والإسلامية لتغيير المناهج الإسلامية).

٤- العولمة والهيمنة على العالم فكريًا واقتصاديًا. (وذلك بفرض الثقافة الغربية على العالم).

٥- استهداف الإسلام بدعوى محاربة الإرهاب. (وذلك بعد حوادث ١١ سبتمبر. ونحن نعيش هذه الفترة الآن).

٦- دعم التوجهات الحداثية والعلمانية. (وذلك بتأييد الحداثيين والعلمانيين ماديًا ومعنويًا- انظر تقرير

(١) انظر : د.فهمي النجار – الحرب النفسية (أضواء إسلامية) ص٣٠٨ – (مرجع سابق).



مؤسسة راند الأمريكية – وموقع الإسلام اليوم في ١٤٢٥/٥/٢٠ هـ – ٢٠٠٤/٧/٨ م).

٧- إظهار الحركات الهدامة، والتعتيم على الفكر الإسلامي الصحيح.. (وحرب الإسلام الصحيح بإسلام مزيف ومشوه ولنقل: " إسلام أمريكاني مثلاً ").

هذه هي إستراتيجية الدول المهيمنة على العالم اليوم في محاربة الإسلام اليوم.. فهل نعي ما تحويه هذه الإستراتيجية ؟ وماذا أعددنا للوقوف تجاهها ؟.

والله أسأل أن نكون على مستوى الأحداث، وأن يوفق الجميع إلى ما فيه خير المسلمين وعزتهم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

